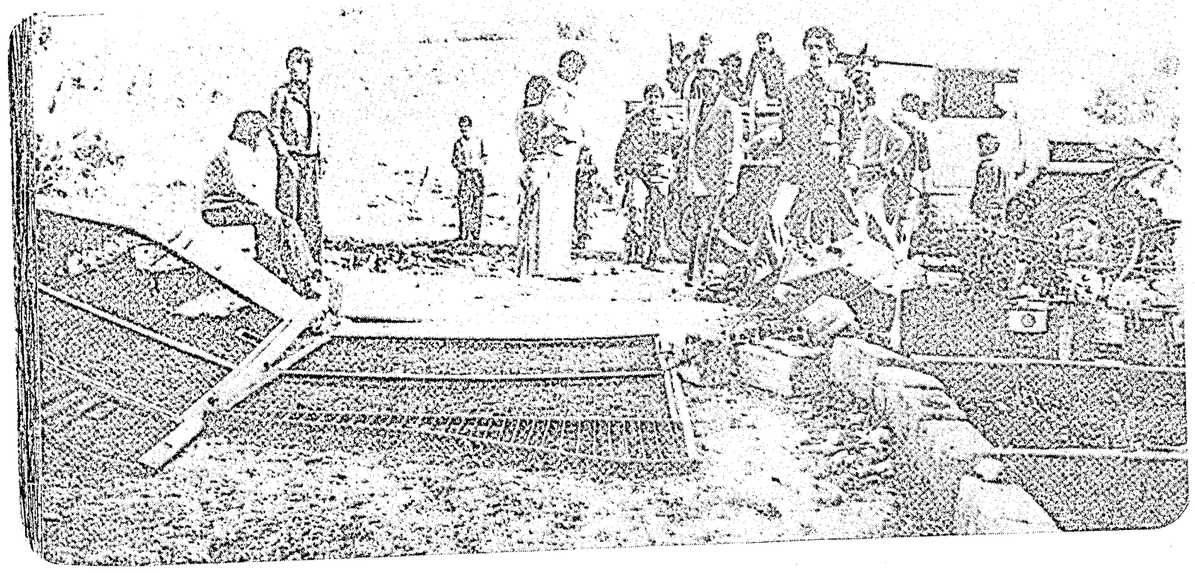

اسباب الصراع في لبنان والمهام والاصلاحات المطلوبة

بقلم : هيثم كمال

ما المطلوب الان بعد كل الذي حصل على الارض اللبنانية من صراع دموي حاد فاق في هوله وضراوته كل ما كان متوقعا من قبل ؟؟

سؤال يجب ان يبقى مطروحا وبالحاح طالما ان اسباب الحرب الاهلية في نظر الزعماء التقليديين ، وفي نظر البسطاء هي اسباب عابرة من الممكن تجاوزها والعبور فوقها ونسيانها ، فهل هذا الرأي صحيح ؟

يجاهر الرجعيون بصراحة فيقولون ان اسباب الصراع المحتوم تتلخص بوجود الفلسطينيين على ارض لبنان ، وبث الاراء اليسارية السامة التي تهدف الى تهديم الكيان ، فهل هذا الكلام صحيح ايضا ؟، وما هو الرد الواقعي على هذه الاراء التي لا يزال اصحابها ومروجوها متعامين عن كل ما يجري من تطورات سواء على الصعيد الدولي والعربي ام على الصعيد اللبناني ، وما هي بالتالي ابرز التطورات السياسية التي جرت وتجري تحت مظلة الهدنة الراهنة ؟، وما هي دلالاتها بالطبع ؟ وكيف يجب ان يكون موقف حركة المقاومة والحركة الوطنية لمواجهة استمرار المؤامرة عليهما ؟،،

اسباب الصراع

ان البرجوازية اللبنانية منذ الميثاق الوطني وحتى الان لا تزال تراوح في جمودها وتعنتها ازاء جملة التطورات التي حدثت دوليا وعربيا ولبنانيا ، وتعتبر بصفاقة ـ ولا سيما شريحتها المارونية ـ ان اي مساس او تعديل او تطوير في النظام او في الدستور هو مساس بالكيان اللبناني وانقلاب عليه ،

فعلى الصعيد الدولي نجد ان التطورات الحاصلة فيه تتجه باتجاه تفاقم ازمة النظام الرأسمالي وتخبطه في العديد من المعضلات المستعصية تحت وطأة اشتداد نضالات وانتصارات حركات التحرر الوطني ، وتحت تأثيرات الانتصارات المتلاحقة للاشتراكية ، ومن هنا بالضبط نفهم تدني وتقلص نفوذ الاستعمار العالمي في البلدان التي كانت مستعمرة ومنها لبنان ، فالبرجوازية اللبنانية التي نشأت في ظل الاحتكارات العالمية وفي اطار التبعية الكاملة لها وتحت حمايتها لم يعد من السهل عليها الاستنجاد بقوة هذه الاحتكارات العسكرية وتدخلها لانقاذها وحمايتها لدى اي صراع بينها وبين القوى التحررية المتنامية في بلادنا ،

غير ان البرجوازية اللبنانية لم تكن لتدرك هذه المعادلة الجديدة ، ومن هنا كان اصرارها على طلب الحماية الاجنبية ابان الصراع الدامي الذي زجت البلاد فيه ، ومن هنا كانت دهشتها عندما لم تبادر دولة كفرنسا او اميركا بالتدخل لمصلحة حمايتها ، ومن هنا كانت تصريحات العديد من زعماء اليمين الفاشي القائلة بوجوب التعاون مع اسرائيل ضد الفلسطينيين والحركة الوطنية ، وهذا التعاون قد حصل بالفعل وهو معروف من الجميع ،

وعلى الصعيد العربي ، فان جملة التطورات التي عصفت بالبلاد العربية (الجزائر ـ مصر ـ العراق ـ سوريا ـ ليبيا ـ السودان الخ ،،) قد غيرت العديد من اوضاعها وقد اثرت على الاوضاع اللبنانية بشكل او باخر ، كما ان بروز القضية الفلسطينية بعد عام ١٩٦٧ وتنامي القدرات المسلحة للشعب الفلسطيني مع وجود كثافة سكانية فلسطينية على الارض اللبنانية ، وكون لبنان بلدا متاخما لاسرائيل ـ ولاسرائيل مطامع واضحة في جنوبنا ـ امور كان من شأنها التأثير على المعادلة اللبنانية التي سبق وذكرنا انها قد استندت في تركيبها وقيامها على الدعم الاستعماري وفي ظل هيمنته وشروطه ،

المتغيرات الداخلية

وعلى الصعيد اللبناني حدثت عدة تطورات كان لها التأثير المباشر على الواقع اللبناني بمختلف جوانبه ، منذ الاستقلال حتى الان :

■ اولا : تغيير كبير في التركيب السكاني كان من شأنه ان يؤثر على التركيب الاجتماعي اللبناني ، وعلى عدد الطوائف وعلى توزيعها السكني ، فالشيعة مثلا لا حصرا ازداد عددهم بحيث بلغ المليون نسمة تقريبا ، وشروط عملهم جعلتهم يشكلون ما يعرف بحزام البؤس حول بيروت ، وهذه الشروط القاسية نفسها دفعتهم الى الانخراط في العمل الثوري وفي اوساط المقاومة املا في التغيير ، وسعيا وراءه ،

بل بوسعنا القول بأن هذه الشروط نفسها قد جعلت معظم افراد الطائفة الشيعية غرباء في وطنهم محرومين من اي امتياز حقيقي من امتيازات النظام ، وباختصار فهم مهملون ساقطون من حساب اهل النظام ، ومن حق الشيعة بهذا المعنى ان يكونوا من اكثر اللبنانيين اندفاعا تحت راية الاهداف الوطنية والثورية ، لا بل من البديهي ان يشكلوا عصب الحركة الوطنية وعمودها الفقري ،

ان هذا التحليل لا يتغاضى عن انخراط غير الشيعة في العمل الوطني كما لا يحصر انتماءهم حصرا تعسفيا بقدر ما هو يؤكد حقيقة ساطعة من حقائق الصراع الاجتماعي في لبنان ، وما ينطبق على الشيعة ينطبق على سائر ابناء الطوائف الاخرى من الكادحين والفلاحين الفقراء (عكار مثلا) والاقليات الاخرى ،

■ ثانيا : ان الاقتصاد اللبناني هو اقتصاد مشوه وذو تركيب احادي الجانب ، كما ان بنيته الاقتصادية مكشوفة تماما ، الامر الذي ينتج عنه بالضرورة استمرار تعرضه للازمات الاقتصادية ،

فالاقتصاد اللبناني هو اقتصاد خدمات ، اي ان نمط انتاج الخدمات يسيطر على الاقتصاد اللبناني ، وبمعنى اوضح فان نمط انتاج الخدمات يسيطر على انتاج السلع ،

ولقد كانت السياسة الاقتصادية اللبنانية تدعم سيطرة قطاع الخدمات على حساب نمو وتشجيع قطاعي الزراعة والصناعة ، وتوفر له الاطر التشريعية والسياسية لسيطرته وطغيانه على بقية القطاعات الاخرى ،

وهكذا يتكشف المحتوى الطبقي للدولة ، كما يتكشف المحتوى الطبقي للبرجوازية اللبنانية ولا سيما شريحتها الوسيطة المسيطرة ، واذا كانت البرجوازية الوسيطة قد نجحت في ظل ظروف معينة في اخفاء عيوب نظامها ، وفي نشر ادعاءاتها الفارغة عن النظام الاقتصادي اللبناني الفريد ، وعن قدرة التاجر اللبناني الخلاقة على مدى العصور ، فانها بدأت تدرك وفي ظل مجموعة من العوامل والظروف الدولية والعربية والمحلية ، عجزها التام عن ترقيع نظامها بمثل هذه الادعاءات ، او ببعض الترميمات الشكلية هنا وهناك ، ذلك لان مستوى تطور القوى المنتجة اللبنانية ووضعها وجها لوجه امام حدة وحقيقة التناقضات اللبنانية ، والتي هي نتاج طبيعي لواقع التركيب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي القائم ،

يترتب على ما تقدم ، ان تكون البرجوازية اللبنانية بحكم تركيبها وطبيعتها ونشأتها التاريخية عاجزة تماما عن حل مشكلات الجماهير وتلبية حاجاتها المتنامية باستمرار ، ومن هنا تفقد مبرر وجودها تاريخيا وتصبح مرشحة للانهيار تحت ضغط حاجة البلاد الى التطوير والتغيير والاصلاحات الضرورية في مجالات التشريع والادارة والجيش وشتى مرافق ومؤسسات واجهزة الدولة ،

ولقد تبين خلال الصراع الدموي مدى هشاشة مؤسسات الدولة وضعفها ، ومدى حاجة لبنان الى قفزة جدية في مجال التطور العام ،

البورجوازية والطائفية

■ ثالثا : ان ظروف تشكل البرجوازية اللبنانية المنحدرة اصلا من الاقطاع ، والتي تعايشت مع العلاقات الاقطاعية في الريف ، كما ان نشوء هذه البرجوازية في ظل الخضوع التام للنفوذ الاستعماري ، واستمرار خضوعها بعد الانتداب ، كل ذلك ادى بها الى اعتماد سياسة اقتصادية عمقت التمايز بين الطوائف ، وبين المناطق اللبنانية ، كما ان عداء البرجوازية اللبنانية لحركة التحرر الوطني العربية ، قد جعلها تعتمد اسلوبا قمعيا ضد الحركة الوطنية اللبنانية باستمرار ، وتقف على طول الخط موقفا عدائيا من القضية الفلسطينية ، ان هذا كله يشكل سببا جوهريا من اسباب الصراع الدامي في لبنان ويحدد جانبا اساسيا من خلفياته ، بالاضافة الى ذلك فان مجمل سياسة الدولة وعلى مختلف الاصعدة كانت تكرس الطائفية وتعزز مواقعها في النفوس والنصوص في آن معا ، واكثر من ذلك فان البرجوازية كانت تتوسل اثارة النعرات الطائفية لطمس حقيقة التناقضات الاجتماعية في لبنان ، ومن اجل اخفاء حقيقة اهدافها في الاستغلال والسيطرة وراء شعارات طائفية ، عنصرية ، فاشية ، (راجع بهذا الصدد سائر النشرات التي صدرت عن اليمين الفاشي ابان الاحداث) ،

□ □ □

لقد نتج عن هذا الواقع برمته تمركز امتيازات طائفية هي امتيازات